

تقنيات إعداد رسالة الدكتوراه حسب "أمبرتو إيكو"
The techniques of realization a doctoral thesis according to
Umberto Eco

د. جواق سمير

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2- (الجزائر)

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة

philo.samirdjouak@gmail.com

تاريخ الارسال: 2021-04-23 تاريخ القبول: 2021-12-22 تاريخ النشر: 2021-12-31

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى عرض جملة النصائح المنهجية والمعرفية التي يُقدمها الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" إلى طلاب الدراسات العليا في ميدان العلوم الإنسانية من أجل مساعدتهم في كيفية إعداد أطروحة الدكتوراه بحيث تستوفي كل الشروط المطلوبة. وكل ذلك من أجل إعداد رسالة جديرة تعود بالنفع على الباحث ومجتمعه وتؤهله لممارسة النشاط والبحث العلمي الأكاديمي.

الكلمات المفتاحية: رسالة الدكتوراه وجدواها، الأستاذ المشرف، تحديد الموضوع، جمع المادة العلمية.

Abstract:

This article aims to demonstrate all the advice and indications given by the Italian philosopher Umberto Eco to students of the humanities and social sciences, with the aim of helping to realise a doctoral thesis that meets all the necessary criteria. All of this advice is given to enable the researcher to produce an impeccable doctoral thesis, which has a positive return for the researcher and his society. And allows him to continue his scientific and academic activities properly.

Keywords: doctoral thesis , The choice of the topic, the choice of the research director, the time management, the collection of information

*د- جواق سمير: philo.samirdjouak@gmail.com

المقدمة:

تُعد درجة الدكتوراه من أعلى المراتب العلمية التي يُمكن للباحث بلوغها في مساره العلمي والأكاديمي، فضلاً عن المكانة الاجتماعية الراقية التي ينالها المتحصل عليها وسط أفراد مجتمعه، ونظراً لأهميتها وفائدتها وقيمتها فذاك ما يُفسّر الوقت والجهد الذي تأخذه عملية إعدادها وانجازها، كما أن بلوغ هذه المرحلة يُوحى بأن الطالب قد قطع شوطاً كبيراً في مسيرته الجامعية والعلمية، ومن أجل إتمام المسيرة بكل نجاح هناك العديد من التقنيات والمعايير التي لو اتبعتها الطالب لتمكّن من إعداد رسالة الدكتوراه جديرة ومفيدة أما إذا تجاهلها فلن يُنجز الطالب رسالة تكون جديرة بمزنتها العلمية، كما نبه إلى ذلك الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" **"Umberto Eco"** (1932-2016). وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند جملة النصائح والتوجيهات التي يُقدمها هذا الفيلسوف لطلاب الدراسات العليا في مجال العلوم الإنسانية من أجل إعداد رسالة دكتوراه وذلك من خلال الإ اعتماد على مؤلفه القيم "كيف تُعد رسالة دكتوراه".

وهو الكتاب الذي ينصح "أمبرتو إيكو" كل المقبلين على إعداد رسالة دكتوراه بالعودة إليه نظراً لما يثوي في متنه من نصائح وتوجيهات وإرشادات قيمة ستسهل على الطالب الكثير من الصعوبات وتُزيل بعضاً من العقوبات التي يجدها الطالب أمامه قبل وبعد مباشرة البحث والاشتغال على موضوعه.

في هذا الإبطار تنزلُ في رأينا أهمية هذه الدراسة، ولا يعود ذلك إلى أسلوب كتابة "أمبرتو إيكو" الشيق والممتع وهو الروائي المعروف بروايته "إسم الوردية"، ولكن لأن النصائح المنهجية والمعرفية التي قدمها هذا الفيلسوف الإيطالي هي مفيدة للغاية لكل طلاب الدراسات العليا والمقبلين على إعداد رسالة دكتوراه في مجال العلوم الإنسانية.

وتأسيساً على ما سبق، تتمحور هذه الدراسة حول الإشكالية التالية: ما هي النصائح التي يُقدمها الفيلسوف "أمبرتو إيكو" حول كيفية قيام طالب الدكتوراه بإعداد عملٍ يستوفي كل الشروط المطلوبة؟

وعلى ضوء هذه الإشكالية تتناسل الأسئلة التالية: ما رسالة الدكتوراه؟ وما جدواها؟ كيف يُمكن اختيار موضوع يصلح للبحث العلمي؟ ما معايير اختيار الأستاذ المشرف وما هو دوره؟ كيف يُمكن جمع المادة العلمية المتعلقة به؟ ما السبيل إلى مُجاوزة الصعوبات المتعلقة حول اللغات الأجنبية؟

1- ما هي رسالة الدكتوراه وما جدواها؟

تُعد شهادة الدكتوراه من أعلى الشهادات التي تمنحها الجامعات والتي تُثبت أن حاملها أو المتحصّل عليها مُتخصص بشكلٍ دقيقٍ في مجال ما، كما تُثبت أهليته لممارسة التدريس الجامعي في مجال اختصاصه وقدرته على ممارسة البحث العلمي والنشاط الأكاديمي، فهي على خلاف المراحل التي سبقتها (الليسانس) التي يُراد بحاملها أن يتوجه إلى ممارسة مهنة ما والمجستير التي تُعد المرحلة الأولى التي يتعلم فيها الباحث أبحاث البحث العلمي قبل أن يُوسّع من قدراته المنهجية والمعرفية ويُعمق فيها في مرحلة الدكتوراه، كما نبه إلى ذلك الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" في قوله: "من المعروف أن درجة الليسانس، بأشكالها المختلفة، يتم الحصول عليها لممارسة مهنة معينة، أما شهادة PHD فإن الهدف هو النشاط الأكاديمي"¹. ومن ثمة لزم الأمر أن يكون البحثُ المتناول في رسالة الدكتوراه أصيلاً يُثبت من خلاله الباحث قدرته على تطوير الموضوع الذي اشتغل عليه في مراحل سابقة واختبار امكانياته المعرفية في مجال تخصصه، لذلك فـ "درجة الدكتوراه (...). تعد بمثابة بحث أصيل يجب على الطالب من خلاله، أن يُثبت أنه دارس قادر على تطوير المادة التي تقدم للاختبار للتخصص فيها"².

وقبل التطرق إلى ماهية رسالة الدكتوراه والفائدة منها وغير ذلك من المسائل المرتبطة بها والتي تتعلق بجملة النصائح التي يُقدمها هذا الفيلسوف الإيطالي لطلاب الدراسات العليا حول كيفية اختيار الموضوع واغتنام الوقت وكيفية الاشتغال على المادة العلمية... إلخ، يُستحسنُ بنا الإشارة إلى أن هذه النصائح هي "موجهة إلى هؤلاء الطلاب، كما أنها تُفيد الطالب الجامعي الذي سوف يلتحق بالدراسات العليا ويريد أن يعرف كيفية إعداد الرسالة"³. وعليه، فليس من شأن هذه الدراسة ولا من مهامها وأهدافها عرض طريقة للقيام بالبحث العلمي، إنما تتعلقُ بالأساس بجملة من النقاط والنصائح التي لو اتبعتها طالب الدكتوراه سينتهي به المطاف إلى إعداد رسالة دكتوراه تستوفي كل الشروط المنهجية والمعرفية المطلوبة، وهي الغاية القصوى التي دفعَتْ بهذا الفيلسوف للكتابة والتأليف في شأن هذا الموضوع، حيث يقول في متن مؤلفه "كيف تُعد رسالة دكتوراه": "بقي من الواضح إذن أن هذا الكتاب لا يستهدفُ شرح كيفية القيام بالبحث العلمي، كما أنه ليس نقاشاً نظرياً ونقدياً يتناول قيمة الدراسة، إنما هو عبارة عن

مجموعة من النقاط المتعلقة بكيفية قيام طالب الدكتوراه بإعداد عمل يستوفي كافة الشروط المطلوبة⁴.

وعلى ضوء هذا الاقتباس، يتبين لنا أن هذه النصائح هي موجهة إلى هذه الفئة من الطلبة اللذين يمتلكون طموحاً في مواصلة البحث والالتحاق بالدراسات العليا والذين ينصحهم هذا الفيلسوف بضرورة العودة إلى كتابه السابق الذكر (كيف تعد رسالة دكتوراه)، وفي ذات السياق، لا يتردّد "أمبرتو إيكو" في توجيه نصيحة لهم من باب الدفع بهم قُدماً في مضمار البحث، والتي مفادها أنه يُمكن لطالب الدكتوراه أن يُنجز عملاً أصيلاً وجديراً مهما واجهته الصعوبات والعوائق والظروف الصعبة سواء النفسية منها أو المادية حتى وإن كان الباحث هاهنا قد تعرض إلى خيبات أمل في مراحل دراسته الجامعية فعليه أن يغتنم فرصة إعداد رسالة الدكتوراه لإستعادة الروح الايجابية في البحث وهو ما من شأنه أن يجعله يتقدم في انجاز دراسته، لنستمع إلى قوله في هذا الصدد: "إلى كل هؤلاء انصحهم بهذا الكتاب وأقول لهم شيئين: - يمكن اعداد رسالة جديرة حتى ولو كان المرء يمرُ بظروف صعبة سواء كانت حديثة العهد أو بعيدة. - يُمكن الإفادة من مرحلة إعداد الرسالة (رغم أن مرحلة الدراسة الجامعية قد تكون أصابتهم بالاحباط وخيبة الأمل) وذلك باستعادة المفهوم الايجابي والتقدمي للدراسة"⁵.

فضلاً عن ذلك، ولما كانت هذه الدراسة تتناول "تقنيات إعداد أطروحة دكتوراه حسب أمبرتو إيكو"، فيستحسنُ بنا الإشارة منذ البداية إلى أنها موجهة بشكلٍ خاص إلى طلاب الدراسات الانسانية والاجتماعية، ويعود ذلك بالأساس إلى تخصص هذا الفيلسوف، وهو ما نوّه إليه في مُفتتح كتابه "كيف تعد رسالة دكتوراه" من خلال قوله: "إننا هنا نتحدث عن نوعية من رسائل الدكتوراه، وهي التي تتعلق بالدراسات الانسانية، ولما كانت خبراتي العلمية تتحصر أساساً في كلية الآداب والفلسفة فمن الطبيعي ان تكون الأمثلة التي سأسوقها متعلقة بموضوعات تتم دراستها في تلك المؤسسات العلمية"⁶.

بالعودة إلى المسألة موضع البحث والنقاش، يُورد صاحب كتاب "كيف تُعد رسالة دكتوراه"، تعريفاً لرسالة الدكتوراه مفاده أنها "عمل يتم اعداده على الآلة الكاتبة كما أنه متوسط الحجم حيثُ يتراوح عدد الصفحات بين مائة وأربعمئة صفحة، ويُعالج الطالب في هذا العمل مشكلة تتعلق بميدان الدراسة الذي يريد الحصول على تلك الدرجة العلمية فيه"⁷. وفي هذا الصدد يُقيم هذا الفيلسوف الإيطالي ميّزاً بين نوعين من شهادة الدكتوراه، حسب طبيعة التخصص الذي أنجز فيه الطالب رسالته في الدكتوراه، فالأمر يختلف مثلاً في مجال الانسانيات على

الطبيعانيات، علاوة على طبيعة كل شهادة دكتوراه، فعلى سبيل المثال تُشير الدكتوراه في الطب MD على درجة مهنية، في حين تُشير الدكتوراه PHD على دكتوراه بحثية في مجال الدراسات الانسانية والاجتماعية، وقد نبه "أمبرتو إيكو" إلى هذا الفرق والميَّز فكتب قائلاً: "لهذا النوع من الدكتوراه مسميات مختلفة غير أننا سوف نشير إليه، ابتداءً من هذه اللحظة، باختصار أنجلو ساكسوني اكتسب طبيعة عالمية وهو PHD (بمعنى دكتور في الفلسفة، غير أن المضمون الفعلي هو أن يشير إلى كافة رسائل الدكتوراه في ميدان الدراسات الانسانية بدءً بالدراسات الاجتماعية وانتهاءً بدراسة اللغة اليونانية، أما بالنسبة للميدان الخاص بالدراسات الاخرى فهناك اختصارات أخرى نذكر منها MD دكتوراه في الطب)⁸.

وعلى العموم، فإن الباحث المقبل على إعداد أطروحة دكتوراه يتوجب عليه أن يُنجز بحثاً أصيلاً لم يتطرق إليه السابقون عليه، إننا نتحدث هنا على "اكتشاف"، شيء جديد" لم يتمّ التطرق إليه بعد، ولعل ميزة الأصالة هذه، والتي ينبغي أن تتوفر في متن أطروحة الدكتوراه ومطابقتها هو ما يُفسّر استنزافها لوقتٍ طويل، فالباحثُ ملزمٌ هاهنا بالاحاطة التامة بموضوع بحثه وفحص مُجمل الدراسات التي تناولت جانباً ما من موضوعه -إذا كانت نَمّة دراساتٍ طبعاً-، ولذلك فحسب رؤية "أمبرتو إيكو" فعندما "نتساءل لماذا تستلزم كل هذا الوقت؟ الاجابة تكمن في أنها بحث "أصيل"، وهذا يستلزم معرفة كل ما قيل عن الموضوع من خلال الدراسات الأخرى والعمل على اكتشاف شيء جديد ربما لم يتمكن الآخرون من الحديث عنه قبل ذلك"⁹. بيد أنه لمّا نتحدث عن الأصالة أو الاكتشاف في مجال الانسانيات، فالأمر لا يتعلق بـ "ابتكار ثوري" كما وصفه "أمبرتو إيكو"، أي أن يُحمِل الباحث نفسه جهداً أكثر من طاقته ويفوق إمكانياته الفكرية، إن المقصود تحديداً بخاصية الاكتشاف هنا هو التنبيه إلى وجود قضية أو مسألة جديدة تستحقّ البحث لم ينتبه إليها الباحثون السابقون، أو تقديم وجهة نظر وقراءة جديدة لها، أو جعل هذه القضية الفكرية معاصرة لآفاقنا وهمومنا ولسياقنا الثقافي والفكري، أو حتى -وذلك أضعف الإيمان- أن يُوجه الباحث جهدهُ الفكري في إعادة ترتيب وتنظيم وقراءة وصلل الدراسات السابقة حول موضوعه وتقديمها في ثوبٍ جديد وأصيل، وعلى ضوء ذلك فحسب "أمبرتو إيكو": "عندما نتحدث عن "اكتشاف" وخاصة في الدراسات الانسانية فالأمر لا يعني ابتكاراً ثورياً مثل اكتشاف انشطار الذرة أو اكتشاف نظرية النسبية أو علاج لداء السرطان، إذ يمكن أن تكون هناك اكتشافات متواضعة لدرجة أنه يمكن اعتبار بعضها "علمية" مثل التوصل إلى طريقة جديدة لقراءة وفهم النص الكلاسيكي، والعثور على مخطوطة

جديدة تُسَمِّم في إلقاء مزيد من الضوء على السيرة الخاصة بمؤلف ما، وإعادة ترتيب وقراءة الدراسات السابقة التي تُساعد على صقل وترتيب الأفكار التي تطوف هائمة بهذه النصوص أو تلك¹⁰.

وعلى ضوء ذلك، فعلى الباحث أن يجتهد في بلوغ شيء جديد يُضاف إلى المعرفة السابقة، علماً أن نقطة الانطلاقة البحثية لأي باحث تكون دوماً حيث إنتهى غيره، فيدفع بالموضوع الذي يبحث فيه قُدماً نحو الأمام، ومما لا شك فيه أن هذا الجهد سيسمِّم في تحقيق النهضة العلمية ولو بالشيء القليل، ف"الباحث يبدأ من حيث انتهى غيره من الباحثين؛ ليسيّر بالعلم خطوة أخرى وليسهم في النهضات العلمية بنصيب، وليس الابتكار المطلوب في الرسائل هو كشف الجديد فحسب، بل هناك أشياء أخرى غير الكشف يشملها لفظ الابتكار، وذلك مثل ترتيب المادة المعروفة ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتداء إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوين موضوع منظم من مادة متناثرة أو نحو ذلك"¹¹.

فإعداد رسالة دكتوراه يعني -في جملة ما يعنيه- الترتيب المنهجي حول طرائق ترتيب الأفكار وتنظيمها وهو ما من شأنه أن يُسَمِّم عظيم الإسهام في إفادة الآخرين، حول هذا الأمر يقول هذا الفيلسوف الإيطالي: "يعني إعداد رسالة دكتوراه أيضاً أن نتعلم كيفية ترتيب الأفكار وتنظيم البيانات: إنها نوع من العمل المنهجي وهذا يعني بناء شيء ما قد يُسهم في إفادة الآخرين أيضاً"¹². إضافة على ذلك، فإعداد رسالة الدكتوراه في مرحلة الشباب من شأنها أن تُحافظ على سلامة الذاكرة وتدريب لها، ولما كانت كذلك ينصح "أمبرتو إيكو" طلاب الدراسات العليا بتعلم أشياء ذات منفعة وقيمة وجدوى، كأن يتناول الباحث في متن رسالته موضوعاً مناسباً وله فائدته النظرية والعملية حتى يتسنى له الإفادة من خبرته، ومن ثمّة فإن إعداد رسالة دكتوراه بمثابة تدريب للذاكرة فعند الهرم تكون الذاكرة جيدة إذ ما كانت هناك ممارسة منذ مرحلة الشباب (...). وإذا ما كان الأمر يتعلق بتدريب الذاكرة فمن باب أولى تعلم أشياء هامة وأكثر جدوى (...). إذ يُستحسن إعداد رسالة تتناول موضوعاً مناسباً، والموضوع يأتي في المرحلة الثانية بعد منهجية العمل والخبرة المستفادة منه"¹³.

وعلى العموم فإن إعداد رسالة دكتوراه يمرّ بعدة مراحل، يُمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

1- ضبط الموضوع. 2- جمع المادة العلمية من مصادر البحث ومراجعته. 3- فحص المادة العلمية فحصاً نقدياً والاطلاع عليها لمعرفة الجوانب التي تم التطرق إليها والجوانب التي أغفلتها الدراسات السابقة حول الموضوع وحدودها، وذلك حتى يتسنى للباحث تقديم شيء جديد

عن موضوعه. 4- إعادة ترتيب وتنظيم المادة العلمية المتحصل عليها حول الموضوع وتخريجها في قالبٍ جديد¹⁴. وعندما ينتهي الباحث من إنجاز رسالته من خلاله اجتيازه لكل المراحل السابقة، تأتي المرحلة الأخيرة ونقصد بها مرحلة مناقشة رسالة الدكتوراه أمام لجنة تُسمى بلجنة المناقشة والتي تتكون من أساتذة التعليم العالي أو أساتذة محاضرين حاصلين على التأهيل الجامعي، يُستمع فيها إلى عرض الطالب الذي يُقدّم ملخصاً عن ما ورد في متن رسالته وهو "تقرير وافٍ يُقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مُدونة، مرتبة، مُؤيدة بالحجج والأسانيد"¹⁵، كما يُستمع إلى عرض الأستاذ المشرف على الرسالة والذي يُقدّم هو الآخر ملخصاً عن الموضوع الذي أشرف عليه، وتعريفاً بالطالب/الباحث الذي أشرف عليه وعن كيفية العمل والمراحل التي اختطها قبل أن يخرج إلى نور الوجود، ثم تلي بعد ذلك تعليقات وملاحظات أعضاء لجنة المناقشة حول الرسالة وحين ينتهي أعضاء لجنة المناقشة من إبداء ملاحظاتهم حول العمل في مداولة علنية يتم طلب تغريغ القاعة من أجل إجراء المداولة السرية ثم بعد ذلك "يصدر قرار المناقشة معتمداً على ما عرضه كل من المشرف والطالب وكذا أعضاء اللجنة سواء كانت الجوانب ايجابية أم سلبية، واعتماداً على ما أظهره الطالب من قدرته على الدفاع عن آرائه التي قدمها في متن الرسالة"¹⁶.

وبالجملة، فإن إعداد رسالة دكتوراه تعني أن الباحث قد اجتاز كل المراحل والاختبارات بنجاح وكفاءة وقدرة تُؤهله أن يُصبح باحثاً مختصاً في مجاله كما تُؤهله إلى التدريس والقيام بكافة الأنشطة البحثية والأكاديمية في ذات التخصص، وممّا لا شك فيه أنه ما بلغ هذه المرحلة المهمة في مساره العلمي والأكاديمي إلا وقد صادفته العديد من المشاكل والصعوبات، وقد لا تُجانبُ الصواب في القول، أن أعوص مشكلة قد يُصادفها طلاب الدراسات العليا المقبلين على إعداد رسالة الدكتوراه هي مشكلة "إختيار الموضوع وتحديد الإشكالية البحثية" ومكمن الصعوبة هاهنا، أن كل شيء سيأتي في اللاحق هو مرتبط بإختيار الموضوع وإشكاليته ف "البحث العلمي السليم يبدأ بعملية اختيار الموضوع وتحديد المشكلة البحثية التي تُمثل البداية المنطقية لأي جهد بحثي هادف، والقاعدة والأساس الذي يبني عليه الباحث جميع إجراءات البحث اللاحقة من صياغة للإشكالية والفرضيات العلمية وتحديد نوع الدراسة، ومنه تحديد المناهج المتبعة ونوع البيانات والمعلومات المطلوبة ومن ثمة الأدوات اللازمة والملائمة لجمعها"¹⁷.

فإذا كان اختيار الموضوع وتحديد الإشكالية البحثية تحديداً سليماً وصائباً فسيؤدي حتماً إلى نتائج سليمة وصائبة والعكس يحدث أيضاً، فإذا كان الاختيار غير موفق فسيؤدي بالضرورة إلى نتائج وخيمة وسيقود صاحبه إلى إعادة اختيار موضوع آخر وما ينجر عليه من وقتٍ وجهدٍ ضائعٍ وتقديماً لذلك سنحاول الوقوف في الآتي على معايير اختيار الموضوع وكيفية تحديد الإشكالية البحثية.

2- إختيار الموضوع والأستاذ المشرف على الرسالة

من المعلوم أن إعداد رسالة دكتوراه تمر بالعديد من الخطوات فإذا ما تمكن الباحث من مجاوزتها بنجاح فسيصل في نهاية المطاف إلى إنجاز رسالة جديرة وذات قيمة ومنفعة، وتكاد تُجمع كل المراجع المتخصصة في البحث العلمي على القول بأن أولى الخطوات التي يشقها الباحث في طريقه لإنجاز رسالته في الدكتوراه هي اختيار الموضوع، ذلك أن "مرحلة اختيار موضوع معين يصلح للدراسة والبحث تعد من أهم خطوات البحث العلمي، فليس من السهولة اختيار موضوع محدد وتحديده بدقة وطرح مشكلة بحثية بصدده، بل يتطلب هذا الأمر من الباحث بذل مجهودات في سبيل ذلك ومعرفة المصادر التي عن طريقها يتمكن من اختيار موضوعه وتحديد مشكلته البحثية ومراعاة مجموعة من المعايير التي تتدخل في عملية الاختيار هذه"¹⁸.

على ضوء هذا الاقتباس، يتضح أن اختيار الموضوع ليس ضرباً من العشوائية بل يخضع للعديد من الشروط والمعايير منها ما هو ذاتي يتعلق بالباحث وقدراته الفكرية ومؤهلاته اللغوية ودوافعه وميولاته، ف"احساس الدارس المُلح بوجود موضوع جدير بالدراسة، أو شعوره بوجود مشكلة يُراد حلها، هما البداية المنطقية للقيام ببحثٍ عملي أصيل. هذا هو السبيل السليم إلى الابداع الفكري، والأصالة العلمية؛ إذ إن أفضل البحوث وأرفعها ما كان مصدره الإلحاح الداخلي والرغبة الذاتية، فالاختيار الشخصي للبحث مهم جداً في تقدمه وتفوقه"¹⁹، ويُعد هذا الشرط أي الرغبة الذاتية من أهم الشروط التي تدفع بالباحث للخوض في موضوعٍ ما دون آخر، فنقطة الإنطلاقة في البحث العلمي تعود أساساً إلى وجود مشكلة قلقة في ذهن الباحث يسعى إلى تفكيك شفراتها، وعلى ذلك الأساس تكادُ تجمع أغلب الدراسات على أن البحث العلمي الحقيقي يبدأ من "موقف غامض يواجهه الباحث، ويتجسد غموض هذا الموقف عندما يُدرك الباحث من خلال ملاحظته أو تجاربه أو ممارسته اليومية أو اطلاعاته أن شيئاً ليس صحيحاً أو يحتاج إلى مزيدٍ من الفهم والايضاح والتفسير"²⁰.

وتبعاً لذلك، فإن مهمة اختيار موضوع مُحدد يصلح لرسالة دكتوراه، هو مهمة صعبة وشاقة، إذ لا يكفي فقط الميل والرغبة في الاختيار وإنما أيضاً على الباحث أن يكون صريحاً مع ذاته حول مقدرته وإمكانياته اللغوية والفكرية وسعة إطلاعه بالموضوع الذي اختاره، وعلى ذلك فقبل الشروع في الاشتغال على موضوعه أن يُواجه ذاته بالأسئلة التالية: "هل يستحق هذا الموضوع ما سيبدلُ فيه من جهد؟ أم الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟ أفي طاقتي أن أقوم بهذا العمل؟ هل أحبُّ هذا الموضوع وأميلُ إليه؟"²¹. فإذا كانت الإجابة بـ "نعم" على كل هذه الأسئلة حينها ينطلق الباحث في مهمته البحثية، وإذا كانت بـ "لا" أو كانت الإجابة تحمل تردداً ومخاوفاً فعلى الباحث أن يقوم بتغيير اختياره إلى موضوع آخر يستوفي الاجابات عن هذه التساؤلات.

وإضافة إلى العوامل الذاتية التي تدفع بالباحث إلى اختيار موضوع ما هناك أيضاً عوامل أخرى موضوعية لها أهميتها القصوى في عملية الاختيار هذه، والتي تتعلق في مجملها حول المادة العلمية التي ينبغي توفرها، أهمية وأصالة وراهنية الموضوع الذي اختاره الباحث، وعلى العموم فقد حدّد الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" جملة من المعايير والشروط لاختيار الموضوع أجملها في أربعة نقاط وهي: "1- أن يدخل الموضوع في دائرة اهتمام الدارس. 2- أن تكون مصادر البحث متاحة، أي أن يستطيع الدارس العثور عليها. 3- أن تكون المصادر التي يستند إليها الباحث سهلة الاستخدام أي في دائرة القدرات الثقافية للطالب. 4- أن يكون الاطار المنهجي للبحث في متناول يد الطالب وفي إطار خبرته"²². هذه المعايير الأربعة التي يُمكن أن تُضيف إليها معياراً خامساً، ونقصد تحديداً باختيار "الأستاذ المشرف" الأنسب والأمثل للإشراف على الرسالة، وفي هذا الصدد يُنوه "أمبرتو إيكو" إلى ملاحظة هي على درجة كبيرة من الأهمية، إذ لا ينبغي أن يكون إختيار الأستاذ المشرف من باب العلاقة الشخصية وإن كان هاذ الجانبُ مُهماً في عملية الاختيار، لكن يُنصح في هذا الصدد أن يكون الاختيار مُوسساً على معيار علاقة الاستاذ بالموضوع؛ أي أن يكون في مجال اختصاصه واشتغالاته الفكرية حتى يتسنى له مرافقة الطالب في مهمته البحثية وتوجيهه بدقة، ومن ثمة يكون بمقدور الأستاذ المشرف مواصلة الإشراف على رسالة الطالب وتخرجها بشكلٍ جيد²³.

هذه الشروط والمعايير ما فتئ هذا الفيلسوف يؤكد عليها، إذ نجدُهُ يُكرِّرها في كل ثنايا مؤلفه العمدة "كيف تُعد رسالة دكتوراه"، نظراً لأهميتها فلو اتبعها الباحث لتمكن من إنجاز

رسالته في إطار الوقت المُحدّد، لنستمع إلى قوله أيضاً حول هذه الشروط التي ينبغي أن تتوفر من أجل انجاز الأطروحة: "1- يجبُ تحديد الموضوع بدقة. 2- يجبُ أن يكون الموضوع معاصراً ما أمكن ذلك. 3- يجبُ أن تكون المراجع متوفرة في منطقة محددة ويسهل الوصول إليها"²⁴. ومن جهةٍ أخرى، يُضيف هذا الفيلسوف، أن كل أطروحة دكتوراه لا تخضع إلى هذه المعايير أو تتجاهلها فهي لا تصلحُ أبداً "فهناك أطروحات لا تصلحُ أبداً؛ لأنه لم يتم منذ البداية تحديدُ الموضوع في إطار هذه القواعد السابقة"²⁵. لذلك على الباحث أن يجتهد في الإبتعاد عن تناول موضوعات عامة في رسالة الدكتوراه فهي لا تليق بمقام رسالة الدكتوراه، وعليه "يجب أن يكون موضوع البحث مُحدداً مكثفاً بعيداً عن العمومية، فالموضوعات العامة لا تصلح للبحث العلمي، وإذا كان من الممكن تناولها فهذا فقط في نطاق الكتب لا الرسائل الأكاديمية"²⁶. وبالجملة يُمكن القول إن تحديد الموضوع بدقة يتبعه تحديد إشكاليته البحثية بدقة، وهي الركيزة الأساسية في كل بحثٍ يتصفُ بالعلمية وبالمقابل ف "البحث الذي يخلو من إشكالية محددة، هو بحث غير جدير بصفة العلمية، فنقطة الارتكاز الأساسية التي يدور حولها أي بحث علمي هي "مشكلة" محددة تتطلبُ حلاً"²⁷.

يتبين لنا على ضوء هذه المستندات أهمية هذه الخطوة "اختيار الموضوع وتحديده"، علماً أن رسالة الدكتوراه ذات الموضوع المُحدّد هي من أصعب أنواع الرسائل، ويمكن الصعوبة أن على الباحث الاجتهاد في توسيع قراءاته حول موضوعه من جهة، وتضييق مجال البحث توخياً للدقة من جهةٍ أخرى، إذ يقول "أمبرتو إيكو" في هذا الصدد: "يُمكننا أن نضع هذه الرسالة (...). ذاتُ الموضوع المحدد، وهي من الرسائل الصعبة: إذ تتطلبُ قراءات واسعة، وإذ ما كانت هناك رغبة لقيامكم بمثل هذا البحث يجبُ عليكم تضييق حقل البحث"²⁸. ولكن علينا التنويه إلى أمرٍ في غاية الأهمية، فلا ينبغي للباحث أن يتجاهل الإطار البانورامي والخلفية الفكرية لموضوع رسالته، لأن ذلك سيساعد الباحث على فهم موضوعه بشكلٍ جيد، أما إذا اكتفى الباحث بالتركيز على القضية الأساسية محور دراسته دون العودة إلى خلفيات تشكلها ومسارات تطورها وفي علاقتها بالمفاهيم والمسائل الفكرية الأخرى المرتبطة بها، فقد يصل إلى فهمٍ مُشوّه لها أو يصطدم بما يُسمى بـ "سوء الفهم"، ومن ثمة فعلى الباحث أن يتناول البحث في إطاره الكلي ويعمل على ربطه بالقضية الجزئية التي يشتغل عليها، لذلك ف "ينبغي أن نُدرك أنه لكي يتم اعداد أطروحة جيدة "محددة الموضوع" هذا لا يعني أبداً أن نغفل الجانب البانورامي (...).، إن إدخال المؤلف في إطار بانورامي يساعد على فهمه بشكلٍ أفضل، ومن

هنا كان الحرص على استخدام الرؤية البانورامية لخلفية (الموضوع) (...)، وعندما نحاول التركيز على الكاتب دون البانوراما فإن هذا الأخير يمكن أن يعترضه بعض الخلل المتمثل في عدم الكمال أو في أنه يحتل المرتبة الثانية في الأهمية²⁹.

ولعل ممّا تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن على الباحث حين يختار موضوع ما وقبل أن يشرع في عملية البحث فيه، يجب عليه أن يستشير الاستاذ المشرف، وتأتي أهمية هذه الخطوة في كون الأستاذ المشرف أوسع إطلاعاً بالموضوع وما كُتِب حوله وما مدى توفر المادة العلمية فيه مقارنةً بالباحث، زد على ذلك فالأستاذ المشرف له الدراية الكافية بمؤهلات الباحث الفكرية واللغوية التي تخوله الاشتغال على هذا الموضوع من عدمه، ومن ثمة تُعد "موافقة المشرف على موضوع البحث هو حجر الزاوية، فمما لا شك فيه أن أكثر المشرفين من الأساتذة على الرسائل العلمية عندما يُعرض عليهم موضوع للموافقة عليه، ينظرون أولاً إلى مدى استعداد الطالب للقيام بتلك الدراسة، وإلى توافر المادة العلمية، ومصادر البحث ثانياً. والمشرف الواعي هو الذي ينظر نظرة متساوية إلى الموضوع الذي وقع عليه اختيار الطالب بأنه مفيد ومهم، وإلى المستوى العلمي للطالب ومدى استعداده لبحثه ومعالجة موضوعاته"³⁰. وحين تأتي الموافقة على الموضوع من قبل الأستاذ المشرف، تبدأ مهمة الطالب الحقيقية في الشروع في عملية البحث حول موضوعه، ولكن قبل ذلك على الطالب أن يتفق مع الأستاذ المشرف، هذا الاتفاق الذي يأخذ صورة "العقد الشفوي" والذي تتمحور بنوده حول طريقة العمل ومنهجيته، والوقت المُحدّد لانجاز العمل، والمصادر والمراجع الأساسية التي ينبغي للطالب العودة إليها، كما يكون الاتفاق أيضاً حول المواعيد واللقاءات وغير ذلك الشروط التي ينبغي توفرها والتي يضعها الأستاذ المشرف منذ البداية، تأتي أهمية هذا "العقد" بحكم أن لكل أستاذ مشرف طريقة معينة وخاصة في العمل، فإن ما تمّ احترام بنود هذا الاتفاق فسيسهل للطالب انجاز رسالته في الوقت المحدد³¹. ولما كان الطالب يروم إلى تخريج عملٍ جيد وذو فائدة قيمة، فعليه أن يعود إلى الأستاذ المشرف في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بموضوع بحثه، فالمشرف يُشبه هاهنا بالقبطان الذي من مهمته الأساسية إبصال السفينة إلى محطاتها النهائية كما هو الدليل الوحيد الذي يسترشدُّ الطالب بتوجيهاته، وأن يتقيد بالوقت المُحدّد والمواعيد التي يُبرمجها الأستاذ المشرف من أجل تتبع العمل خطوة بخطوة، فلا ينبغي أن يتصور الطالب أنه موضوعه لوحده، فالأمر مهم أيضاً بالنسبة للأستاذ المشرف ولرتبته العلمية، ومن ثمة فالنتيجة يوم المناقشة سواءً كانت إيجابية أو سلبية فهي تنعكس عليه أيضاً، إلا في حالة ما قدم الأستاذ

المشرف بعض النصائح والتوجيهات للطالب بخصوص موضوعه ولم يتقيد بها الطالب فعندئذٍ على الطالب تحمل مسؤوليته الكاملة أمام اللجنة في يوم المناقشة لأنه تمّ تحذيره مسبقاً³². إضافة إلى إستشارة الأستاذ المشرف لا ضرر من أن يستشير الطالب أيضاً أساتذة آخرين من ذوي الاختصاص وأن يحتكم إلى خبراتهم، خصوصاً الأساتذة اللذين اشتغلوا على جانبٍ من جوانب هذا الموضوع قبله ومناقشة الموضوع قيد دراسته معهم، فذلك من شأنه أيضاً أن يُنير درب الطالب ويُسهل عليه بعضاً من الصعوبات التي قد تُصادفه خصوصاً ما تعلق بالموارد والمراجع، أو تفكيكاً لشفرة بعض الأفكار التي بدت له غامضة ومستغلقة، وتبنيه إلى جوانب أخرى مهمة في موضوعه كان هو في غفلةٍ عليها، أو حتى اعلامه بأن هناك من الباحثين من يشتغل على موضوعه بالذات ووجبّ حينها تغييره أو أنه موضوع غير نافع بالدراسة والبحث وعليه التفكير في موضوع آخر³³.

وتأتي أهمية هذا الإجراء من الناحية المنطقية والطبيعية في كون الباحث لا يملك إطلاعاً واسعاً بموضوع بحثه، كما لا يملك دراية كافية بمن اشتغل عليه قبله، أو أنه موضوع مكرر حتى لا يواصل الاشتغال عليه ومن ثمّة يُهدر وقته وجهده، أو أن أغلب مصادره ومراجعته هي بلغةٍ أجنبية لا يُقنها الطالب، لذلك يجب "أن يكون الباحث قادراً على التعامل المباشر مع مظان البحث، لاسيما إذا كانت هذه المظان بلغات أجنبية، فعليه أن يتأكد من توافرها باللغة الأجنبية التي يتقنها، وإذا كان لدى الباحث الوقت الكافي لتعلم لغة أجنبية جديدة تمكنه من التعامل المباشر مع مظان بحثه، فعليه أن يغتنم هذه الفرصة لأنها ستضيف إليه الشيء الكثير"³⁴.

والحق، أن البحث عن المصادر والمراجع ومعرفة اللغات الأجنبية تُعد من بين أهم الصعوبات والمشكلات التي يُصادفها طلبة الدراسات العليا وكل مُقبل على إعداد رسالة الدكتوراه، حتى إن "أمبرتو إيكو" يُصنف مسألة المادة العلمية المتوفرة بلغة لا يُقنها الطالب من أهم المشكلات الرئيسية لما لها من مخاطرة كبيرة حين يختار الطالب موضوعاً دون أم يكون مُحاطاً بما سيقبل عليه من مشكلات، وعليه حسب "أمبرتو إيكو" فـ "من الضروري اختيار موضوع لا يتطلب معرفة لغات لا أعرفها أنا كما أنني لستُ على استعدادٍ لتعلمها (..) فلا يمكن إعداد رسالة دكتوراه عن مؤلف أجنبي إذ لم نستطع أن نقرأه في لغته الأصلية"³⁵.

وتأسيساً على ذلك، ما هي النصائح التي يُقدّمها هذا الفيلسوف حول كيفية الاشتغال على المصادر والمراجع وكيفية التعامل مع اللغات الأجنبية أثناء إعداد رسالة الدكتوراه؟

3- المادة العلمية واللغات الأجنبية.

لقد أشرنا سابقاً إلى أن إعداد أطروحة دكتوراه يمر بالعديد من المراحل والخطوات، ولعل من أبرزها كيفية التعامل مع المادة العلمية من مصادر ومراجع ودراسات سابقة وما يتعلق بها من مشكلات كندررتها أو عدم توفرها أو ما تعلق باللغة الأجنبية التي تُمثّل إشكالاً وتحدياً أمام طالب الدكتوراه، وحول هذه النقطة الأخيرة، أي اللغات الأجنبية، حسب "أمبرتو إيكو" هي لا تخص الطلبة الباحثين في مجال اللغات، فمنطقياً هم على دراية باللغات الأجنبية بحكم تخصصهم فيها "ليس لهذا البند علاقة بهؤلاء اللذين يُعدون أطروحة دكتوراه عن اللغة الأجنبية أو الآداب الخاصة بتلك اللغة، فمن المنتظر أن يكون هؤلاء على معرفة باللغة التي يكتبون الأطروحة في دائرتها، ومن المنتظر أيضاً أنه إذ ما كانت هناك أطروحة تتعلق بكاتب فرنسي فينبغي أن تكون مكتوبة بالفرنسية، وهذا ما يتم في كثير من الجامعات الأجنبية"³⁶. إنما هذه المشكلة تتعلق أساساً بالطلبة الباحثين في ميادين الانسانيات "علينا أن نعرض مشكلة من يقوم بإعداد أطروحة الدكتوراه في الفلسفة أو علم الاجتماع أو القانون أو العلوم السياسية أو التاريخ، فدايماً ما تظهر الحاجة إلى الاطلاع على كتاب مؤلف باللغة الأجنبية"³⁷. وعلى ذلك الأساس، فالمقبل على إعداد رسالة دكتوراه يتوجب عليه أن يمتلك العدة المعرفية واللغوية اللازمة من أجل إنجاز بحثه، وما اتقان اللغات الأجنبية سوى إحدى الامكانيات التي تؤدي إلى الكتابة الجيدة حول موضوع الرسالة، وقبل أن نتحدث عن هذه النقطة المهمة يُستحسن بنا الإشارة إلى أن مصدراً أو مرجعاً ما قد يكون في حقيقة الأمر هو الدافع الذي حثّ الطالب لاختيار موضوع ما دون آخر، ومن ثمة فـ "مراجع معينة قد تدفع الطالب لاختيار موضوع خاص (...)"، كما أن الطالب قد يعثر على مخطوط أو عدد من المخطوطات لم تنشر بعد، وفيها مادة جديدة، فيدفعه ذلك إلى موضوع يتصل بهذه المعلومات الجديدة النافعة"³⁸.

وبمناسبة الحديث عن المصادر والمراجع التي تخدم موضوع الرسالة، ينصح "أمبرتو إيكو" في هذه الصدد طلبة الدراسات العليا بإعداد قائمة أولية تضم أهم المصادر والمراجع، من خلال العودة إلى الكاتالوجات المتوفرة في المكتبات بحكم أنها تتوفر على قائمة للمكتب مُعدة مسبقاً، والطالب سيجد سهولة كبيرة في استخراج منها العناوين التي تتناسب مع طبيعة موضوعه ثم طلب هذه الكتب من أجل إلقاء نظرة سريعة عليها وعلى فهرس المراجع لكل

كتاب ذلك أن الطالب مُلزمٌ بالعودة إليها لاحقاً في حالة ما وجد فيها شيئاً يُفيده في موضوعه، زد على ذلك فمن خلال هذه النظرة السريعة والعودة إلى كل فهرس من فهارس تلك الكتب يُمكن للطالب نقل أهم عناوين المصادر والمراجع وكتابتها كاملة، وهكذا ستتكوّن في ذهن الطالب صورة عامة عن الكتب المذكورة والعناوين الأساسية المتكررة في كل تلك الكتب، ومن ثمة سيكون باستطاعة الطالب ترتيب وتصنيف المصادر والمراجع حسب درجة أهميتها³⁹.

وبعد إنتهاء الطالب من إعداد قائمة أولية لأهم المصادر والمراجع والدراسات السابقة التي تناولت جانباً من جوانب موضوعه، يتوجب عليه حينها الإطلاع عليها بهدف جمع أكبر قدرٍ من الأفكار والمعلومات حول موضوعه، مع تدوين كل فكرة أو كل تعليقٍ يطرأ على ذهن الباحث وصياغتها على نحوٍ دقيق، وهو ما من شأنه أن يُساعد الطالب كثيراً على الإحاطة بجوانب الموضوع المختلفة⁴⁰. كما سيساعد الطالب بعد دراستها طبعاً دراسة نقدية فاحصة على تحديد ما يتناسب فيها مع موضوعه وما لا يتناسب مع موضوعه، ومن ثمة يُمكنه أن يُبدي موقفه حول ما مدى علاقتها بموضوع بحثه، وما قيمة وأهمية الأفكار الثاوية فيها، ومن خلال هذه العملية سيتمكن الطالب من معرفة حدود تلك الدراسات وأن موضوعه سيتجاوزها إلى نقطة أبعد مما توصلت إليه، وهنا تكمن أهمية الإطلاع على المراجع والدراسات السابقة، فيتجنب الطالب تكرار ما تمّ تناوله في تلك الدراسات من جهة، كما يمنح الطالب أسباباً ومبررات مقنعة في مواصلة الاشتغال على الموضوع الذي تم اختياره من طرفه⁴¹. ولعل ممّا يُستحسن الإشارة إليه في هذا السياق، هي شخصية الطالب، إذ يجب أن تكون شخصية بارزة وحاضرة في كل ثنايا الرسالة بشكلٍ إيجابي ومؤثر، من خلال القراءة النقدية لكل ما كُتب حول موضوعه، وأن يتقاضي التسليم الساذج بها، والانقياد أو التماهي فيها بوصفها حقائق مُسلمٌ بها، ومن ثمة فعلى "الطالب أن يفحص بعمق كل ما يقرأ، وألا يسلم بما قرره غيره من النتائج، بل يدرس هو الأحداث والأسباب مع مقارنة النصوص ببعضها البعض، لتبرز شخصيته في كل مراحل البحث، شخصية ايجابية مؤثرة (...)"، فالرسالة فرصة ليثبت الطالب سعة اطلاعه، وعمق تفكيره، وقوته في النقد والتبصير فيما يصادفه من أمور⁴². وهو ما تقتضيه أصالة الموضوع من الناحية العلمية، التي تستوجبُ الإضافة المعرفية الجديدة بحيث أن لا يكون الموضوع مُكرراً أو منقولاً من جهة، كما تستوجبُ أن يُعاصر الموضوع الهوموم والقضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية التي حدثت نتيجة لتغيرات والتطورات التي استجدت في الواقع والتي تشغلُ إهتمام المجتمع المحلي أو الدولي، وهو الهدف الأساسي من وراء إعداد رسالة الدكتوراه

بشكل خاص والبحث العلمي على نحوٍ عام، الذي يروم إلى تقديم حلولٍ لها، وهو ما يُعطي لرسالة الدكتوراه أهمية وفائدة قصوى⁴³.

ولما كان هذا هو الهدف الأساسي من إعداد رسالة دكتوراه، فإن الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" يؤكد على ضرورة أن يشتغل الباحث في موضوعه على المصادر أو الأصول، وبلغته الأصلية، حيث يكتب قائلاً في هذا الصدد: "والشيء الذي لا يجوز الإقدام عليه هو أن اعتمد على المؤلف الذي أدرسه من خلال الآخرين (...). إذن أن المصادر يجب أن تكون من الدرجة الأولى"⁴⁴. فمثلاً في مجال الفلسفة لو اشتغل أحدهم على الفيلسوف الألماني "كانط" فإن جل ما كتبه هذا الفيلسوف يُصنف ضمن المصادر، ولكن حسب "أمبرتو إيكو" للمصادر درجات معينة فهي لا تستوي جميعاً من حيث طبيعتها ف "المصدر من الدرجة الأولى هو الطبعة الأصلية"⁴⁵. ويضيف هذا الفيلسوف في سياق حديثه عن المصادر، التي لا تعني دوماً الكتب التي ألفها النموذج قيد الدراسة (مثل كانط)، بل تُدرج ضمن قائمة المصادر أيضاً الوقائع والأحداث التاريخية، حيث يقول: "وفي واقع الأمر نجد أن من مصادر مؤلف معين يمكن أن تعتبر أيضاً وقائع تاريخية (مثل مناقشات جرت على أيامه وتناولت بعض الظواهر بعينها)، غير أن تلك الوقائع يُمكن العثور عليها دوماً في صورة مادة مكتوبة أي في نصوص أخرى"⁴⁶. أي ما كتبه هذا الفيلسوف بلغته الأصلية وفي الطبعة الأولى قبل أن تتم ترجمته إلى لغةٍ أخرى، وبمناسبة حديثنا عن الترجمة، فإن المصادر المترجمة لا تعتبر مصدرًا من الدرجة الأولى ولكنها تنفع في بلوغ الهدف من البحث والتتقيب، حيث يصفها "أمبرتو إيكو" قائلاً: "إنها غطاء خارجي وكأنها أسنان صناعية أو نظارة أو وسيلة محدودة للوصول إلى شيء ليس في متناول يدي"⁴⁷. ويأتي تصنيف المصادر المترجمة في الدرجة الثانية، من كون أن الترجمة قد تكون في كثيرٍ من الأحيان خائنة أثناء محاولة المترجم نقل النص من لغته الأصلية إلى لغةٍ أخرى مثلاً العربية ويقوم بتحويل المعنى حتى ينسجم مع قواعدها وسياقه الثقافي، وفي هذا الصدد ينوه "أمبرتو إيكو" إلى أن "الترجمات لا تكون دائماً آمنة لعمل المؤلف، والقيام بإعداد أطروحة يعني إعادة الكشف عن فكره الأصلية وخاصة إذا ما كانت الترجمات قد زيفته"⁴⁸. فإذا كانت الأطروحة حول مفكر أو فيلسوف ما معروف على نطاق واسع في الساحة الفكرية العربية (مثل كانط السابق) فيمكن أن يعتقد البعض أن الاعتماد على لغته الأصلية غير ضرورية، ولكن في حقيقة الأمر هناك سببين أساسيين في أعين "أمبرتو إيكو" للاعتماد على اللغة الأصلية لهذا المفكر، إذ يقول: "أن أعمال هؤلاء المؤلفين لم تترجم كلها بالضرورة، كما

أن الجهل بمؤلف واحد ولو كان صغيراً، يمكن أن يكون عقبة في سبيل فهم فكره أو تكوينه الثقافي، أما السبب الثاني فهو أن أغلب مراجع البحث المتعلقة بكاتب معين عادة ما تكون باللغة التي يُنسبُ هو إليها ويكتبُ بها"⁴⁹.

وعلى العموم، فإن إنجاز أطروحة من خلال الاطلاع على ما كُتِبَ حول موضوعها باللغات الأجنبية تعد فرصة ينبغي الاستفادة منها واستغلالها لتعلم اللغات الأجنبية، حتى وإن لم يستطع الطالب التحدث بها فعلى الأقل يمكن القراءة بها وفهم النصوص التي كُتِبَتْ بها "ومن المعتاد -في حالات مثل هذه- أن تتم الإفادة من عملية إعداد الأطروحة للبدء في القراءة بلغة غير معروفة للباحث، ومن خلال بعض الجهد يمكن فهم شيء ما إذا كان هناك من يهتم بالموضوع، وغالباً ما يتم تعلم اللغات بهذه الطريقة، حقا لن يتمكن المرء من التحدث بها غير أنه يمكنه القراءة بها وهذا أفضل من لا شيء"⁵⁰. وهكذا يتضح أن معرفة وإتقان اللغة الأجنبية تُعد من أهم المقومات الأساسية لإعداد رسالة ناجحة، وستتضح له الفوارق بين كيفية معالجة الآخرين (الناطقين بلغة أجنبية) لهذا الموضوع ومقارنة ذلك بطريقة معالجة الباحثين الناطقين بلغته له، كما أنه ويفضل فعل الترجمة سيسهم الباحث في إضافة معرفة جديدة عن موضوع رسالته بلغته الأصلية التي يكتبُ ويتحدثُ بها، وتبعاً لذلك فـ "إن إجادة لغة أخرى على الأقل يُعد عنصراً هاماً من عناصر نجاح الرسالة، حتى يستطيع الطالب أن يقرأ أفكار قوم آخرين، ويرى كيف يعالجون الموضوعات العلمية، وسيلمس بنفسه حينئذٍ أنهم يختلفون في كثيرٍ من الاتجاهات عن قومه الناطقين بلغته"⁵¹.

الخاتمة:

وبالجملة، ترتكز الغاية الأساسية التي وُجِعت هذه الدراسة الموسومة بـ "تقنيات إعداد رسالة الدكتوراه حسب "أمبرتو إيكو"، التطرق إلى مختلف النصائح التي وجهها هذا الفيلسوف لطلاب الدراسات العليا وكل مُقبل على إعداد رسالة دكتوراه في مجال العلوم الإنسانية، وهي النصائح والتوجيهات التي نجدها ثابرة في متن كتابه العمدة "كيف تُعد رسالة دكتوراه"، وكل ذلك من أجل إنجاز رسالة جديدة تستوفي كل الشروط المنهجية والمعرفية وضمن إطار الوقت المُحدد لها، وأياً يكن من أمرٍ فقد انتهت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج نذكرها في النقاط التالية:

1- رسالة الدكتوراه هو بحث منظمٌ يُجزه الطالب من أجل الحصول على شهادةٍ عليا ودرجة علمية تؤهله للتدريس الجامعي والنشاط الأكاديمي، ومن ثمة يجب أن يكون البحث

أصيلا من خلاله يثبت الطالب قدراته اللغوية وكفاءته الفكرية، وفي هذا السياق يُنوه "أمبرتو إيكو" إلى أنه يُمكن إعداد رسالة قيمة حتى وإن كان الطالب يمر بظروف نفسية ومادية صعبة. أما الهدف منها فهو تقديم شيء جديد يُضَاف إلى المعارف السابقة، أو تقديم حلول للقضايا التي تهم الشأن العام المحلي أو الدولي، ومن ثمة فالفائدة سواء كانت نظرية أو عملية هي من تُعطي جدوى لرسالة الدكتوراه.

2- من بين أهم المشاكل التي تعترض سبيل الباحث المقبل على إعداد رسالة دكتوراه تتمثل في اختيار الموضوع وتحديد إشكاليته البحثية واختيار الأستاذ المشرف على الرسالة، وذلك لأن نقطة انطلاق البحث السليم تبدأ من عملية اختيار الموضوع المناسب الذي يصلح للدراسة والبحث، وما سيأتي لاحقاً ما هو إلا نتيجة وتحصيل لهذا الاختيار، الذي تتدخل فيه عوامل ذاتية: رغبة الباحث، ميولاته الفكرية، وجود هاجس فكري أو موقف غامض من مسألة ما، وعوامل موضوعية: توفر المادة العلمية حول موضوعه، أن يكون الموضوع راهنياً وله فائدة في الواقع. إضافة إلى ذلك، فمن بين أهم عوامل نجاح رسالة الدكتوراه حُسن اختيار الأستاذ المشرف الذي يجب أن تكون له صلة بموضوع الرسالة، أي في مجال اختصاصه، لذلك فعلى الطالب أن يلتزم بنصائح وتوجيهات الأستاذ المشرف الذي وبفضل خبراته العلمية سيرى مدى مشروعية البحث في هذا الموضوع ومدى مقدرة الطالب في الخوض فيه.

3- من بين أهم الصعوبات أيضاً تبرز لنا مشكلة المادة العلمية (المصادر والمراجع والدراسات السابقة) ومشكلة اللغة الأجنبية التي تُشبه الشبح الذي يُطارِد طلبة الدراسات العليا، في هذا الصدد ينصح الفيلسوف الإيطالي بضرورة العودة للمصادر والأصول أثناء الاشتغال على موضوع رسالة الدكتوراه حتى تتصف بالمتانة العلمية، وفي هذا الصدد يُقيم ميزاً بين المصادر من الدرجة الأولى (النصوص التي كتبت بلغتها الأصلية) والمصادر من الدرجة الثانية (النصوص المترجمة)، كذلك ينصح بالاشتغال على المراجع من الدرجة الأولى والتي لها علاقة مباشرة بموضوع الطالب، وذلك من خلال إعداد قائمة من العناوين ثم يبدأ الطالب بتصفية المهم منها من عدم ذلك بعد القراءة الفاحصة والنقدية. أما بخصوص مشكلة اللغة الأجنبية فينصح الفيلسوف الإيطالي "أمبرتو إيكو" باختيار موضوع يتناسب ومؤهلات الطالب اللغوية، فلا يمكن للطالب أن يخوض مضمار البحث مادته العلمية بلغة لا يتقنها

فذلك فيه مخاطرة كبيرة، إلا في حالة ما أراد الطالب رفع شعار التحدي والاشتغال على موضوع بلغة أو لغات أجنبية، فستكون فرصة حينها جُذ مواتية لتعلمها.

- 1- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، ترجمة على منوفى، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة-مصر، 2002، ص14.
- 2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 3- المصدر نفسه، ص10.
- 4- المصدر نفسه، ص11.
- 5- المصدر نفسه، ص10-11.
- 6- المصدر نفسه، ص11.
- 7- المصدر نفسه، ص13.
- 8- المصدر نفسه، ص14.
- 9- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 10- المصدر نفسه، ص14-15.
- 11- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة-مصر، 1968، ص8.
- 12- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص18.
- 13- المصدر نفسه، ص19.
- 14- المصدر نفسه، ص18.
- 15- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مرجع سابق، ص5.
- 16- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص13.
- 17- بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، إصدار المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، بيرلين-ألمانيا، 2019، ص37.
- 18- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 19- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة التاسعة، الرياض-السعودية، 2005، ص47.
- 20- بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص38.
- 21- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مرجع سابق، ص24.
- 22- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص19.
- 23- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 24- المصدر نفسه، ص33.
- 25- المصدر نفسه، ص19.
- 26- محمد عثمان الخشت، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة-مصر، 1989، ص10.
- 27- المرجع نفسه، ص17.
- 28- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص25.
- 29- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 30- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مرجع سابق، ص51.
- 31- محمد عثمان الخشت، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، مرجع سابق، ص35-36.
- 32- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص32-33.
- 33- محمد عثمان الخشت، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، مرجع سابق، ص25.
- 34- المرجع نفسه، ص10.
- 35- أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص36.

- 36_ المصدر نفسه، ص35.
- 37_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 38_ أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مرجع سابق، ص27-28.
- 39_ أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص75.
- 40_ محمد عثمان الخشت، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، مرجع سابق، ص25.
- 41_ عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مرجع سابق، ص60-61.
- 42_ أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مرجع سابق، ص15.
- 43_ بوحوش عمار، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص41.
- 44_ أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، مصدر سابق، ص67.
- 45_ المصدر نفسه، ص66.
- 46_ المصدر نفسه، ص61.
- 47_ المصدر نفسه، ص66.
- 48_ المصدر نفسه، ص36.
- 49_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 50_ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 51_ أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مرجع سابق، ص26.